رياح وشموع

شعر : كمال نشأت

للأستاذ محمد محمود زيتون

هذه مجموعة رقيقة من شعر الشباب ، ضمت أصدق الأحاسيس ، التي اهتزت لها مشاعر الأستاذ الشاعر كمال نشأت ، وقد ملك الربيع عليه سمعه وبصره ، فنفذا عن صخب الناس ، ومضى إلى الطبيعة يستجليها ، فوافاه الإلهام وساعفه النغم

ولا عجب ، فهو من شباب الإسكندرية ، أمتى وأضحى بين عينيها ، فاتنين بالأنسام ، واحتفل بالأمواج ، واختلى بالأسحار والأصائل ، فتصيد قيثارته الشادية أوتار الربيع ، فامتزج النغم الناعم بالموج العتى ، وخفقت « الشموع » في رعونة « الرياح » العواصف ؛ والربيع في حناياه دوى لا يبلى مع الخريف الحائل ، والهجران الموحش

يستهل الشاعر مجموعة « رياح وشموع » بالقطعة الجميلة التي عنوانها « ربيعي » ، وهنا نضع بين يدي القارئ مفتاح الشاعرية الذي يهدي إلى أسرار نفسه : فليس الربيع خضرة وزهرة . أو جدولا وبليلا .. أو بعضاً من تلك المفاتن التي تجتمع عليها الحواس المشتركة لناس هذه الدنيا ، ولكن الربيع عند الشاعر معان مجردة له أن يمنحها ما يشاء من الأصباغ ، وله أن ينضمها بحيث ينفرد هو بتوقيعها على قيثارته في محاريب الفن

لهذا ، كان ربيع شاعرنا معنى جديداً له معالمه ومعارفه ، فالحياة في تقلباتها « ربيع خالد لا ينتهي » بحيث لا يعفو مع الخريف ، ولا يمسو مع الظلام ، فليتأمل القارئ هذين البيتين وبينهما سبعة أبيات رقاق :

وبمهجتي أجد الربيع مجدداً ... أبداً نضيراً في الشعور الناضر

أنا في الخريف أرى ربيعاً غافيا ... وأكاد ألمسه صنيعة ساحر

ويسبح بمدده في الآفاق المساح ، دافعاً بجناحه الذهبي هذا السحاب ، متنقلا على بساط سليمان من الروض إلى الميناء إلى عطفة الرمل إلى الترام إلى تريانون إلى العيون النواعس إلى الشاطىء ، والربيع من حوله : هالة مشعة أو بسمة دافقة ، يقول :

هو في دمي خلد وبين أضالعي ... فجر أوائله بها كأواخر

في كل خافق يجد الربيع منوعا ... في كل امرأى يستبين لناظري

في كل خافق يجد الربيع بكل ما ... يلقاه من ماض لدي وحاضر

في البحر ، في القفر الجديب ، وفي الفلى

بين الجوانح ، في ظلام مغاور

في بسمة الطفل الصغير تكشفت

عن طهره في روعة المتباشر

في غفوة العصفور في ألق الضحى

في ضجة الموج العتي الهادر .

وإذا عاد ربيع الناس ، ترنم شاعرنا بهذا النشيد العذب « نداء الربيع » فيقول :

عاد الربيع ومهجتي فيها ربيع ناضر

شعر ، وأحلام ، وأنغام ، وشوق زاخر

عاد الربيع فمدت أسمع بين أحنائي خطاه

همس يدب مجدداً في القلب أفراح الحياه

ولئن تملك الربيع شاعرنا اللهم ، فلا أقل من أن يمتزج بتهاويله فتراه — وهو على ضفاف « بحيرة البجع » — يتمنى أن يكون عطراً أو ريشة أو ظلاما أو صباحاً أو سكونا أو ظلاما ، ولكنه قلب أسير في يد الحقيقة ، فيناجي البجعات السابحات الفاتنات :

آه لو كنت في رحابك عطراً ... في زهور على غصون وريقه

آه لو كنت ريشة في جناح ... لطيور منعمات رشيقه

آه لو كنت في مياهك ظلا ... غائصاً يرتقي الزهور المريقه

كم تمنيت أن أكون صباحاً ... ناعساً حالماً وفيياً شروقه

كم تمنيت أن أكون سكونا ... في كهوف بين الجبال سحيقه

كم تمنيت أن أكون ظلاما ... ناشراً ستره محبا سموقه

كم تمنيت أن أكون ، وما كنت سوى مهجة بأمر الحقيقة